بسم الله الرحمن الرحيم (السنة والشيعة، كيف يجتمعان؟)

أهداني أخي كريم في الدين (وفي وطنه أسس على الدعوة إلى التوحيد والسنة منذ أول يوم) مقالاً نشر في جريدة المدينة ملحق الرسالة في ١٤٢٨/١/٧ لأحد أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود (عنوان الحاجز الأستاذ حسنة الصفار في الدعوة إلى وحدة أهل السنة مع الشيعة، والحاجز في تجنب بحث التناقضات الصارخة في الاعتقاد والمنازع بين الطائفتين)، وأنا في حاجة لهذا أمثل هذه المقاطعة الجديد.

وشكرت الله ثم شكرت أخي الكبير على ما بثني به بين حين وآخر من مشاريعي الاهتمام به، وقد عرفته قبل سبعة سنة ولم أكن تجاوزت مرحلة الطفولة وكان ركناً من أركان المؤسسة التعليمية متميزاً بخلقه العظيم، وقد احتفظ بموقعه من إدارة المؤسسة التعليمية سنوات بعد تحولها إلى وزارة ثم ارتقى فبلغ أعلى درجات السلم الإداري وتجاوز أقصى درجات السلم الوظيفي ولم ينقص ذلك شيئاً من درجات أخلاقه العالية وسعيه للإصلاح داخل حدود وظيفته الحكومية وخارجها. بارك الله في عمره وعمله ووقته.

وشكرت الله ثم شكرت أخي كاتب المقال على تميزه بجعل مستقبل علاقة السنة بالشيعة على نحو يغفل عن المفرطوية والمفرطوية؛ فلم يوفه إليه منه يناقضه الشيعة لمجرد انتمائه الوراثي اللفظي للسنة دون سعي لإصلاح حاله أو حالهم، ولم يوفه إليه منه يغازل الشيعة لمجرد الابتعاد عنه وصف النقص والشدة والاقتراب منه وصف الوسطية والتسامح، أو للاستفادة من جوائز دولة الآيات الشيعية مادية أو معنوية جهلاً أو ترهاناً بحدود الولاء والبراء لشرع الله، وتميزها عنه حدود المعاملة بالحسنى للجميع كما كانت النبي صلى الله عليه وسلم يعامل المشرك والمنافق والكتابي:

أ- تميز الكاتب (زاده الله توفيقاً) على ما قرأت له في هذا الباب بعدة أمور، منها:

٦) إدراكه أنه خطر التفرقة والعداوة بين الطائفتين أهون من خطر التناقض بينهما في الاعتقاد فما دونه من العبادات والمعاملات، ولا يمكنه - شرعاً أو عقلاً - إزالة التفرقة والعداوة قبل إزالة أسبابها: تعظيم المشاهد والمراقد والمزارات، ودعاء أصحابها بما لم ينزل الله بها من سلطان، وسب الصحابة ومنهم الثلاثة من الخلفاء الراشدين المهديين الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأمر باتباع سنتهم، ودعوى عصمة الأئمة الاثني عشر ومنهم صاحب السرداب الذي تقول أسطورة الشيعة لعنهم الله أنه دخل السرداب وعمره سبع سنين ولم يخرج له بالفرج قرونا، والنياحة على الحسين رضي الله عنه وتضخم مصيبته كبيرة من الكفر الأصغر والنفخ في نار العداوة والفرقة والشقاق بين الشيعة والسنة وبين المنتمين إليهما إلى قيام الساعة ثم الرجوع إلى الحق ونحوها. ومع أن أكثر المنتمين إلى السنة يقعون في أنواع مما يقع فيه أكثر المنتمين إلى الشيعة وهو الشرك الأكبر بدعاء المخلوق مع الخالق أو دونه إلا أنه فقهاء الأمة الذين ينتمي إلى مذاهبهم أكثر أفراد السنة يكفرونه بمثل فعل ذلك (إذا تحققت شروط التكفير وعدمت موانعه) ولكنه الجاهل أعاذ الله الطائفتين منه، ولذا كانه للعذر بالجهل مكانة هنا فالشيعة أولى به لأنهم متبعون لأكثر مشائخهم بعد القرون الأولى مقلدون لهم. والمنتمون إلى السنة جميعاً يحبون آل البيت ويترضون عنهم كما يحبون ويترضون عن بقية الصحابة إلا من اجتالته الأفكار والهوى عن منهاج السنة مثل سيد قطب تجاوز الله عنه في سبه معاوية وعمرو، وفي همزه ولمزه عثمان وعدد من الصحابة في كتابه: (العدالة الاجتماعية ص١٦٤ و١٧٥ وكتب وشخصيات ص٢٤٠) رضي الله عنه خلفاء رسوله وصحابته وآل بيته وأرضاهم أجمعين، فأهل السنة وسط بين الشيعة والخوارج في هذا الأمر كما أن الله ميز المسلمين (بحب والصلاة والسلام على جميع أنبياء الله وسلم) على النصارى الذين يستثنون محمداً ﷺ من الرسل

الذين يستثنون عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢) استدلاله على مجانبة الشيعة اليوم منهج آل البيت (الذي يدعون اتباعه ويفارقون أهل السنة باسم التزامه) بما كتبه ثلاثة من باحثي وعلماء الشيعة المعاصرين (لا السنة) خشية من تحقق التحيز أو ادعائه.

٣) إشارته إلى حقيقة أنه دعوى التقريب والوحدة [منذ بدأت في منتصف القرن الماضي في مصر حتى اليوم] لا تتجاوز (الذب عن الشيعة وستر عيوب المذهب عن أعين المخالفين) وأنه يمكن اختصارها في كلمة واحدة: (هكذا نحن وسوف نبقى هكذا فتعايشوا معنا لئلا يستغلنا العدو الخارجي) وخطر فساد المعتقد مع السعي الحثيث إلى نشره من قبل الدولة الإيرانية وأفراد دعاة التشيع (وهو أخطر المناهج المبتدعة للجماعات والأحزاب والفرق المنتمية للسنة) أخطر من العدو الخارجي السافر.

ب - قبل سبعة سنة دعي القصيمي إلى التقريب والوحدة بين الطائفتين فاستجاب له عدد من المعلمين في الجامع الأزهر وانضم إليهم بعض المفكرين الموصوفين بالإسلامية وأصدروا مجلة التقريب وكانت النتيجة: الانخفاض الذريع (فالقلوب متباينة والعقائد متناقضة وكبرات أن يجتمع النقيضان أو يتفق الضدان) أنظر فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة ابن باز وفتاوى العفيفي (٢/٥٦ المجموع الأولى).

ولم يظهر أثناء محاولات التقريب الجادة والهازلة أي محاولة تذكر للنهي عن سب الصحابة ولا عن النياحة في ذكرى موت الحسين رضي الله عنه وأرضاه، فضلاً عن محاربة الشرك الأكبر بدعاء أصحاب القبور والاستغاثة والاستعانة بهم مع الله أو من دونه؛ إنما كانت نسبة هذا الداعية إلى الوحدة والتقريب يظنه بقول فرعون وأعوانه: ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾.

ج - والمحاولة الوحيدة الحقيقية للتقريب والوحدة بين السنة

والشيعة (فيما أعلم) لا تحمل شعار التقريب والوحدة المبتذل، وإنما تحمل شعار (تصحيح التشيع)، وهي موجهة للشيعة من الشيعة ممثلة في (المجلس الأعلى لتصحيح التشيع) برئاسة الأستاذ المجتهد د. موسى الموسوي، وخبر نتائج المجلس (فيما أعلم) كتاب الموسوي: (تصحيح التشيع) وأول ما نقع عليه عين القارئ تحت العنوان على الغلاف الأول المسائل التي يخالف فيها الشيعة اليوم فقه آل البيت (وهي في الحقيقة المسائل التي يخالف فيها الشيعة اليوم السنة) وأعظمها: إجلال أئمة الشيعة مع الله تعظيماً لمقاماتهم ومشاهدهم ودعاءً لهم بحجة التقرب والاستشفاع بهم إلى الله، ولم يفت العلامة الموسوي الإشارة إلى حقيقة أن أكثر المنتمين للسنة بل جُلّهم ما عدى الموصوفين منهم بالسلفية [أو الوهابية]؛ يشاركون الشيعة في اقتراف هذه الموبقة والكبيرة والظلم العظيم.

وأهونها: التقية بحجة قول الله تعالى: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾.

والعلامة الموسوي شيعي تعلم في قم حتى بلغ درجة الاجتهاد وهو مثل العاملية معه على تصحيح التشيع لا ينفونه جواز التمذهب بمذهب أحد من فقهاء آل البيت في الفروع المفضول ولكنهم ينفون التعصب للمتأخرين من علماء الشيعة الذين انحرفوا عن منهاج السنة الذي عُرف به الفقهاء الأول إما بسبب الجهل بحقيقة ما كانوا عليه أو بسبب الحرص على السلطة والمال بالتمام اتباع آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم، ويمكنه أن يقال مثل ذلك عن أكثر المنتمين إلى السنة، وأنا أعترف بأن العلامة الموسوي رحم انتمائه الشيعي أفقه من الفقيه في دين الله وأقرب إلى صحيح السنة من كليهما.

ولو بذل دعاة السنة الصحيحة جهدهم في رد الشيعة إلى السنة ولو أقل مما يبذله الشيعة (دعاة ورعية) في سبيل تحويل المنتمين للسنة إلى منهاجهم المنحرف عجب بدعوة التشيع لبيوت ذممهم؛ ولكنه لسان حالهم يقول: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ فهم لا يدعون للحق ولا يدعون لهم بالرداء كما شرع الله لهم، هدى الله الجميع لأقرب منه هذا رشداً